الدفاع عن العقيدة السلفية

القول الماتع
في إثبات الأصابع
لِمُبْدِعِ البدائع

ضمنته:

الرد على البليدي المائع

المفتري على شيخنا يحيى أنه لا يثبت لله إلا خمس أصابع

تعصبا لفركوس الزائغ.

كتبه

أبو العباس محمد القصراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على شيخنا الناصح الأمين يحيى بن على الحجوري بالعلم والسنة، والثبات على الحق ـ وذلك من فضل الله ـ نسأل الله أن يختم لنا وله بالحسنى، ومنّ الله عليه بالصدع بالحق، فهو قوّال بالحق، ناصح لله ولرسوله، كما وصفه شيخه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فإنّه فقد قال في وصيته:**أوصيكم بالشيخ يحيى، فإنه ناصح أمين**.

ولهذا كثر حساده، ومبغضيه، ومن هؤلاء الشانئين حزبي من البليدة بالجزائر، يفتري على الشيخ يحيى، في مسألة الخمس الأصابع، وما هو إلا مقلد، شأن الفراكسة، فقد قال لي أحدهم: إذا قال العالم قولا؛ **لا تسأل عن الدليل، ولكن طبق ثمّ اسأل عن الدليل !!!**، قاعدة: اعتقد ثمّ استدل.

فلما فضح الله حزب العدني؛ ما بقيت لهم حجة على الشيخ يحيى إلا التلفيقات، والسرقات من مواقع الحزبيين الذين قبلهم، أمثال: شبكة الأثري، فمجمل ما ينقلون على الشيخ يحيى هو من شبكة الأثري الحدادية، ومازالت الردود الحدادية على الشيخ يحيى موجودة، وجاء عرفات البرمكي فسرقها من الحدادية وجعلها في كتابه: البيان الفوري، فمنه ينهل الفراكسة البرامكة، فهو دليلهم، وهو إمامهم .

فضاع حزبهم ولله الحمد ، هلك الوصابي كبير عند الحزبيين في الأردن ليكون عبرة لأصحابه، المنافحين عنه، { فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} .

وفلت إمامهم الذي علمهم التميع، وأقرّ أنّ دينهم ودين الرافضة واحد، وكتابهم واحد، فلا تخادعون الناس بأنكم تدافعون عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفضح هاني بلا بريك، وانتهى إلى الديمقراطية والسياسة، وصار حاله أسوأ من حال الإخوان المسلمين.

* ومن شأن المنكر أن يكون ذا علم بما ينكره، ولا ينكر قولا لا يعلم هل هو مخالف للشرع، وهل هو مخالف لما كان عليه السلف، هذا هو الواجب، ولكن شأن البرامكة الفراكسة إنكار ما لم يحيطوا به علما، بمجرد أن يسمعوا قولا لم يسبق إلى ذهنهم من قبل؛ قالوا هذا من ضلالات الحجوري!!!، وإن كان هو قول أهل السنة، أو قول من أقوال أهل السنة، إنما مستندهم عدم العلم ، وعدم العلم ليس علما.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «المجموع» (٣/ ٢٤٥) :

فَأَوَّلُ دَرَجَاتِ الْإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ الْمُنْكِرُ عَالِمًا بِمَا يُنْكِرُهُ وَمَا يَقْدِرُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ لِأَحَدِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يُبْطِلَ قَوْلًا أَوْ يُحَرِّمَ فِعْلًا إلَّا بِسُلْطَانِ الْحُجَّةِ وَإِلَّا كَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ: {إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إنْ فِي صُدُورِهِمْ إلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} وَقَالَ فِيهِ: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} .اهـ

وقال رحمه الله :

وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى النَّاسِ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُنْكِرَ إلَّا بِحُجَّةِ وَبَيَانٍ، إذْ لَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يُلْزِمَ أَحَدًا بِشَيْءِ وَلَا يَحْظُرَ عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا بِلَا حُجَّةٍ خَاصَّةٍ، إلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُبَلِّغُ عَنْ اللَّهِ.اهـ

* ومن ذلك ما يدندن به حزب البرمكي: من نسبة فرية إلى الشيخ : قوله : أنّ لله خمس أصابع فقط، وكان تعليق الشيخ على قصة الحبر، نظرت الطرق الواردة في الحديث دون تقصي، وأقوال العلماء في المسألة، فتلخص لي بحث قصير، نسأل الله أن ينفع به.

. الروايات الواردة في الحديث.

وقصة الحبر في إثبات الأصابع لله سبحانه، جاءت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتعدد رواية الحديث، منهم من ذكر أربع أصابع، ومنهم من ذكر خمس، وجاء رواية على ستة، لكنها كلها دالة على إثبات الأصابع، وإن كان أكثر الطرق الواردة، على إثبات خمس أصابع، مع بيان الحبر أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وإقراره له، وهو مخرج في الصحيحن وغيرهما.

وجاء إثبات الأصابع من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: (على ذه).

وحديث «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في صحيح مسلم، وجاء عن أنس وعائشة رضي الله عنهم، بأسانيد ثابتة، في إثبات أصبعين لله سبحانه وتعالى، وذكر هذا الحديث تتمة للموضوع.

أذكر بعض الطرق، من غير حصر، وذلك لعدم توفر المراجع، نسأل اله أن ييسر بإتمامه.

رواية فيها خمس أصابع:

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٨١١):

حدثنا آدم، حدثنا شيبان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول لله صلى الله

عليه وسلم: {وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون}.

رواية فيها أربع:

قال البخاري رحمه الله:

٧٤١٥ - حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، سمعت إبراهيم، قال: سمعت علقمة يقول: قال عبد الله: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، «فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه»، ثم قرأ: {وما قدروا الله حق قدره} [الأنعام: ٩١].

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢١ - (٢٧٨٦) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ، يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، قَالَ " فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] ".

الروايات التي فيها ستة أصابع:

قال الإمام أحمد رحمه الله في «المسند» (٤٣٦٨):

- حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. قَالَ: " فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ " تَصْدِيقًا، لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

حديث ابن عباس رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد ﷺ في «المسند»:

٢٢٦٧ - حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْأَشْقَرُ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ، قَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَى ذِهْ - وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ - وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى ذِهْ؟ كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ "، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ} .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد ﷺ :

٤٩٣ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، نا عِمْرَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَرَّ يَهُودِيٌّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا يَهُودِيُّ خَوِّفْنَا» فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ كَيْفَ بِيَوْمٍ تَكُونُ الْأَرْضُ عَلَى هَذِهِ، وَالسَّمَاوَاتُ عَلَى هَذِهِ، وَالْمَاءُ عَلَى هَذِهِ، وَالْخَلْقُ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧].

الروايات التي فيها

تصديق النبي صلى الله عليه وسلم

وجاءت روايات على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لحديث الحبر في إثبات الأصابع، وعدم الإنكار عليه، بل وضحك صلى الله عليه وسلم تصديقا وتعجبا له، وهذا من السنة التقريرية، كما هو مقرر في كتب الأصول.

جاء في «صحيح البخاري» (٤٨١١) :

«فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ».

وفي صحيح مسلم (٢٧٨٦):

«فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ».

قال الترمذي ﵀ (٣٢٣٩):

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا» .

وقال ﵀ : «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

قال الإمام ابن خزيمة ﵀ في «كتاب التوحيد»(١٧٨):

وَقَدْ أَجَلَّ اللهُ قَدْرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يُوصَفَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ بِحَضْرَتِهِ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ، فَيَسْمَعُهُ فَيَضْحَكُ عِنْدَهُ، وَيَجْعَلُ بَدَلَ وجُوبِ النَّكِيرِ وَالْغَضَبِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ بِهِ ضَحِكًا تَبْدُو نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا وَتَعَجُّبًا لِقَائِلِهِ لَا يَصِفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ بِرِسَالَتِهِ.

٢ـ سلفه في هذه الفرية

وكنت قد التقيت بأحد المتعصبين في الجزائر فإذا به ينسب إلى الشيخ يحيى حفظه الله تعالى فرية (إثبات خمس أصابع فقط)، مقلدا في ذلك غيره من الحزبيين، (سمعت الناس يقولون قولا فقلته)، وما أظنه يعرف قول الشيخ يحيى في المسألة،

وقد ذكر الحدادية هذه الفرية في موقعهم « شبكة الأثري » ، ولعله أخذتها من شبكة الأثري.

وممن ذكر هذه الفرية : البكري، في رد له سماه « الرد السلفي»، كان قد نشره بتاريخ (كتبه : ١٤٢٣) ، ثم أعاد مراجعتها و تعديلها ونشرها في سنة(١٤٣١).

وقد رد الشيخ يحيى على الفرية بتاريخ (٢٦/ ٠٢/ ١٤٢٣)،وطلابه في رد أسموه(**أقوال الشيخ يحيى بن علي الحجوري فيما انتقد عليه من المسائل**)، وهو منشور ولله الحمد.

ثم قلدّ الحداديةَ المفتونون بحزب العدني، فقد نشرت هذه الفرية في شبكة سحاب التمييعية بتاريخ (٠٤/ ٢٠١٣)، مع العلم أنه قد نشر الرد عليها قبل (٢٠٠٣).

ثم تتابع الحزبيين في نشر هذه الفرية، مع أنّ الشيخ قد أجاب عليها سنة (١٤٢٣)، لكن القوم صمت أذانهم ، وعميت أبصارهم، وطمست بصائرهم، نسأل الله العافية.

.وجوب الأخذ بظاهر النص.

من عقيدة أهل السنة والجماعة السلفيين، الأخذ بظاهر النصوص، الظاهر اللائق بالله عزّو جلّ،من غير تشبيه ولا تعطيل، وخاصة في نصوص الأسماء الصفات، وقد يختلف باختلاف القرائن والسياقات، وهذا معنى قول السلف : أمروها كما جاءت .

ونقل على ذلك الإجماع، حكاه غير واحد منهم شيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية رحمه الله تعالى ، حكاه عن الخطابي، وغيره.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٥):

وَقَدْ أَطْلَقَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ حَكَى إجْمَاعَ السَّلَفِ - مِنْهُمْ الخطابي - مَذْهَبَ السَّلَفِ: أَنَّهَا تجرى ـ أي النصوص ـ عَلَى ظَاهِرِهَا مَعَ نَفْيِ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا.اهـ

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في « مجموع فتاوى والرسائل» (٤/ ١٥٨):

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق، فاتفقوا على أن لله تعالى حياة، وعلما، وقدرة، وسمعا، وبصرا، حقيقة، وأنه مستو على عرشه حقيقة، وأنه يحب، ويرضى، ويكره، ويغضب حقيقة، وأن له وجها ويدين حقيقة لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} . وقوله: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .اهـ

قال الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣١٢):

فَهَذَا وَأَمْثَاله مِمَّا صَحَّ نَقله عَن رَسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِن مَذْهَبنَا فِيهِ وَمذهب السّلف إِثْبَاته وإِجراؤه عَلَى الظَّاهِر وَنفي الْكَيْفِيَّة والتشبيه عَنهُ، وَقد نفى قوم الصِّفَات فأبطلوا مَا أثْبته اللهَّ تَعَالَى، وتأولها قوم خلاف الظَّاهِر فَخَرجُوا من ذَلِك إِلَى ضرب من التعطيل والتشبيه،

وقال في «مجموع الفتاوى و الرسائل» (١/ ٢٣٥):

فإنّ السلف الصالح من صدر هذه الأمة مجمعون على إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، وعلى إجراء النصوص في ذلك على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تأويل، وهم أحق بالاتباع

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى:

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك: السمع والعقل.

أما السمع: فقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} ، وقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وقوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.اهـ

قال الشيخ أمان الجامي رحمه الله في «الصفات الإلهية» (١/ ٢١٨) :

وتقدم الحديث عنها ـ نصوص الصفات ـ في غير موضع من الرسالة إذ كلها تبقى على ظاهرها، الظاهر الذي يليق بالله تعالى، ولا يفهم من النصوص إلا ذلك الظاهر اللائق، بل لا يجوز أن يعتقد أن

النصوص قد تدل بظاهرها على مالا يليق بالله، لما في ذلك من إساءة أدب، بل إساءة ظن بالله الذي أنزل تلك النصوص.

قال الفراء رحمه الله في إبطال التأويل:

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَجُوزُ رَدُّ هَذِهِ الأَخْبَارِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَلا التَّشَاغُلُ بِتَأْوِيلِهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الأَشْعَرِيَّةُ وَالْوَاجِبُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا صِفَاتٌ للهِ تَعَالَى لا تُشْبِهُ سَائِرَ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَلا نَعْتَقِدُ التَّشْبِيهَ فِيهَا، لَكِنْ عَلَى مَا رُوِيَ عَنْ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ، فَحَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فِي أَنَّهَا صِفَاتٌ للهِ تَعَالَى لا تُشْبِهُ سَائِرَ الْمَوْصُوفِينَ.

الشيخ يحيى على عقيدة السلف

قال شيخنا يحيى حفظه الله تعالى كما في الرد :

(نبقى على ظاهر الحديث، نورده كماهو).

فأين هذا القول الذي مبناه على التسليم للنص، وترك الاستفصال في غير مجاله، والله المستعان، بل هو منكر على من قال بذلك القول بزيادة (فقط)، وأنّه قول باطل.اهـ

معنى «الأخذ بالظاهر» في كلام السلف

* ومقصود أهل السنة بالأخذ بظاهرالنصوص، أي: الظاهر اللائق بالله عزّوجل، يتضمن إثبات الصفات من غير تكييف، ولا تحريف، هذا هو مقصود أهل السنة، بخلاف أهل البدع، أدخلوا فيه معنى باطل، ثمّ قالوا :الظاهر غير مراد، ولهذا احتيج لتفصيل في قولهم.

فلم يكن السلف يريدوا بالظاهر أنّ صفات الله سبحانه مثل صفاتنا، ولا كان السلف يريدوا بالظاهر إمرار اللفظ المجرد دون فهم معناه كما هو مذهب المفوضة.

ولا كان السلف يقولوا أمروها على ظاهرها مع اعتقاد أنّ ظاهرها غير مراد، بل كانوا يعتقدون مادلت عليه النصوص من الصفات، مع نفي علمهم بالكفية .

تعريف الظاهرعند السلف وأتباعهم السلفيين

قال شيخ الإسلام أيضاً «المجموع» (٦/ ٣٥٦):

"فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة. ".

قال الشيخ العثيمين في تقريب التدمورية (٥٥):

ظاهر النصوص: ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يحتف بها من القرآن.

❋ فالظاهر في عرف السلف هو مايسبق إلى الذهن السليم ـ الذي لم تتغير فطرته بالعقائد الفاسدة ـ من المعانى، ولا شكّ أن هذا مراد بالنصوص، وهو الذي عناه السلف.

قال شيخ الإسلام الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٤٧١):

فَإِنَّ الظَّاهِرَ فِي الْفِطَرِ السَّلِيمَةِ وَاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَالدِّينِ الْقَيِّمِ وَلِسَانِ السَّلَفِ غَيْرُ الظَّاهِرِ فِي عُرْفِ كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ،.

..وقال :

" وَأَمَّا إنْ أَرَادَ بِإِجْرَائِهِ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ الظَّاهِرُ فِي عُرْفِ سَلَفِ الْأُمَّةِ لَا يُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا يُلْحِدُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِمَا يُخَالِفُ تَفْسِيرَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ؛ بَلْ يَجْرِي ذَلِكَ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ النُّصُوصُ وَتَطَابَقَ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ فَهَذَا مُصِيبٌ فِي ذَلِكَ وَهُوَ الْحَقُّ".

قال شيخ الإسلام « المجموع» (٣/ ٤٦):

فإنّ الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد – كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا.

وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير.

فكذلك إذا قالوا في قوله: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ، {رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} ، وقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} : إنه على ظاهره. لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبًّا كحبه، ولا رضًا كرضاه.اهـ

قال الشيخ محمد أمين الشنقيطي:

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل ، أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.
«أضواء البيان» (٢/ ٣٢٠) .

وقال الشيخ العثيمين في «شرح السفارينية» (١٠٧):

أما ظاهرها فهو المعنى اللائق بالله حقيقة دون المجاز، فالمراد باليد يد حقيقية تأخذ وتتصرف وتقبض وتبسط، وكذلك أيضا المراد بالأصابع أصابع حقيقية يأخذ الله بها ما أراد من خلقه، وكذلك المراد بالعين، وهكذا بقية الصفات.

❋ والأخذ بالظاهرمع مراعات السياق والقرائن ، وليس معناه تجريد اللفظ عن كل ما بين المراد منه.

قال رحمه الله تعالى"المجموع" (٦/ ٣٥٦):

« فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة، ثُمَّ قَدْ يَكُونُ ظُهُورُهُ بِمُجَرَّدِ الْوَضْعِ وَقَدْ يَكُونُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ؛ وَلَيْسَتْ " هَذِهِ الْمَعَانِي " الْمُحْدَثَةَ الْمُسْتَحِيلَةَ عَلَى اللهِ تَعَالَى هِيَ السَّابِقَةَ إلَى عَقْلِ الْمُؤْمِنِينَ ».

وفي المعلمي في التنكيل(٢/ ٣١٥):

فأنّ الخبر إذا اقترنت به قرينة صحيحة تصرف عما يتراءى منه لولاها ، فظاهره الحقيقي هو ما يفهم منه مع القرينة و هي حينئذ بمثابة كلمة من لفظ الخبر .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

فقال : "واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ ، تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي ، أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي يتغيّر به دلالته في نفسه ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعيّن أحد محتملات اللفظ ، أو يبيّن أن المراد به هو مجازه ، أو غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع.

الرد على من يقول

أن الظاهر غير مراد

وشأن أهل البدع الإجمال في الألفاظ، فكثير من الألفاظ الشرعية قد أدخل عليها أهل البدع عليها معاني باطلة، مثل كلمة التوحيد، والعدل، فليس التوحيد عند المعتزلة والأشاعرة هو التوحيد عند أهل السنة، فكذلك الظاهر عند أهل الباطل ليس هو الظاهر عند أهل السنة.

وإذا تكلم أهل البدع بمثل هذه الألفاظ، فلا ترد مطلقا، ولا تقبل مطلقا، خاصة وأنّ ديدنهم التلبيس في المعنى.

فالسلف كانوا يجعلون ظاهر النص هو المعنى اللائق بالله عزّو جل، فلا يكون الظاهر إلا حقا، بخلاف أهل البدع فإنهم جعلوا المعنى الباطل هو ظاهر النص، الذي يقتضي التشبيه، ثمّ قالوا : هل الظاهر مراد أو لا؟!!!.

فإذا قال البدعي: الظاهر غير مراد؛ يقال له: ما مقصودك بالظاهر؟، فيفصل المعنى. ولا شكّ أنّ التشبيه ليس هو ظاهر النص حتى يقال هل هو مراد أم لا ؟، بل ظاهر النص لا يكون إلا حقا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي «التَّدْمُرِيَّةِ» من «المجموع» (٣/ ٤٣):

إِذَا قَالَ قَائِلٌ ظَاهِرُ النُّصُوصِ مُرَادٌ أَوْ لَيْسَ بِمُرَادٍ؟ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: لَفْظُ الظَّاهِرِ فِيهِ إجْمَالٌ وَاشْتِرَاكٌ، فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا التَّمْثِيلُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِمْ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَلَكِنَّ السَّلَفَ وَالْأَئِمَّةَ لَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ هَذَا ظَاهِرًا وَلَا يَرْتَضُونَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كُفْرًا وَبَاطِلًا، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إلَّا مَا هُوَ كُفْرٌ وَإِضْلَالٌ.

وقال بعدها (٣/ ٤٧):

ثُمَّ إنَّ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الرَّبَّ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ: لَمْ يَقُلْ الْمُسْلِمُونَ إنَّ ظَاهِرَ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ لِأَنَّ مَفْهُومَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ مِثْلُ مَفْهُومِهِ فِي حَقِّنَا؛ فَكَذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ غَيْرَ مُرَادٍ لِأَنَّ مَفْهُومَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ كَمَفْهُومِهِ فِي حَقِّنَا بَلْ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ تُنَاسِبُهُ. فَإِذَا كَانَتْ نَفْسُهُ الْمُقَدَّسَةُ لَيْسَتْ مِثْلَ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَصِفَاتُهُ كَذَاتِهِ لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

قال شيخ العثيمين رحمه الله في «تقريب التدمورية» (٥٥ـ ٥٧):

فإن قال قائل: في نصوص الصفات لا يجوز إجراؤها على ظاهرها؛ لأنّ ظاهرها غير مراد.

فجوابه أن يقال: ماذا تريد بالظاهر؟ أتريد ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله من غير تمثيل فهذا الظاهر مراد لله ورسوله قطعاً وواجب على العباد قبوله، والإيمان به شرعاً لأنه حق.

أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل، فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة لأن هذا الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالنص والإجماع ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفراً وباطلاً ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين.

فتبين بذلك أن من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد فقد أخطأ على كل تقدير؛ لأنه إن فهم من ظاهرها معنى فاسداً وهو التمثيل فقد أخطأ في فهمه وأصاب في قوله: " غير مراد " ، وإن فهم من ظاهرها معنى صحيحاً، وهو المعنى اللائق بالله؛ فقد أصاب في فهمه، وأخطأ في قوله " غير مراد " ،فهو إن أصاب في معنى ظاهرها أخطأ في نفي كونه مراداً، وإن أخطأ في معنى ظاهرها أصاب في نفي كونه مراداً فيكون قوله خطأ على كل تقدير.

والصواب الذي لا خطأ فيه أن ظاهرها مراد وأنه ليس إلا معنى يليق بالله ا. هـ

قال الشيخ العثيمين كما في «مجموع رسائل والفتاوى» (٤/ ٣٠):

الباب الخامس: في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

قال بعض المتأخرين: " مذهب السلف في الصفات إمرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد". اهـ.

وهذا القول على إطلاقه فيه نظر فإن لفظ " ظاهر" مجمل يحتاج إلى تفصيل:

فإن أريد بالظاهر ما يظهر من النصوص من الصفات التي تليق بالله من غير تشبيه فهذا مراد قطعا، ومن قال: إنه غير مراد فهو ضال إن اعتقده في نفسه، وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلى السلف.

وإن أريد بالظاهر ما قد يظهر لبعض الناس من أن ظاهرها تشبيه الله بخلقه، فهذا غير مراد قطعا، وليس هو ظاهر النصوص لأن مشابهة الله لخلقه أمر مستحيل، ولا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة أمرا مستحيلا، ومن ظن أن هذا هو ظاهرها فإنه يبين له أن ظنه خطأ، وأنّ ظاهرها بل صريحها إثبات صفات تليق بالله وتختص به.

وبهذا التفصيل نكون قد أعطينا النصوص حقها لفظا ومعنى والله أعلم.

قال صاحب «فتح المجيد» (٥١١):

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، أو أنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه،

وقال :

وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} ١. وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد، ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قال سليمان بن سمحان في «الضياء الشارق» (٢٢٨):

وهذه الأحاديث تدل على عظمته سبحانه وتعالى، وتبين أن الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنما تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه.

قال الشيخ أمان الجامي رحمه الله في الصفات الإلهية(٢٢-٢٣):

وهذا ـ القول ـ جناية على النص من وجهين:

الوجه الأول: نفي ظاهره فأين لهم العلم من أن الله تعالى لم يرد ظاهره.

هل عندهم علم من أن الله لم يرد ظاهره ما أضافه لنفسه؟! والله تعالى يقول عن القرآن إنه نزله {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} ، فعلينا أن نأخذ بدلالة هذا اللفظ حسب مقتضى هذا اللسان العربي المبين.

فمن أين لنا أن يكون الله تعالى لم يرد ظاهر اللفظ؟! فالقول بنفي ظاهر النص قول على الله بغير علم.

الوجه الثاني: إثبات معنى لم يدل إلى ظاهر اللفظ، فهل عنده علم أن الله تعالى أراد المعنى الذي صرف ظاهر اللفظ إليه؟! هل عنده علم أن الله أراد مجيء أمره؟! قد يكون المراد جاء شيء آخر ينسب إلى الله غير الأمر.

قال: وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي « أضواء البيان» (٢/ ٣٠ـ٣١):

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل ، أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.

قال: وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر إلى كل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر. والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله ؛ لأنه كفر وتشبيه ، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله عز وجل وعدم الإيمان بها مع أنه جل وعلا هو الذي وصف نفسه بها فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ثم معطلاً ثانياً ، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء ، ولو كان في قلبه عارفاً بالله كما ينبغي ، معظماً لله كما ينبغي ، طاهراً من أقذار التشبيه ، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ في الكمال والجمال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه مستعداً لصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} . آل عمران (٥٤).

قال شيخ الإسلام «» (٦/ ٣٦١):

الرَّابِعُ: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ وَأَرَادَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ وَضِدَّ حَقِيقَتِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ حَقِيقَتَهُ وَأَنَّهُ أَرَادَ مَجَازَهُ سَوَاءٌ عَيَّنَهُ أَوْ لَمْ يُعَيِّنْهُ لَا سِيَّمَا فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي أُرِيدَ مِنْهُمْ فِيهِ الِاعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ؛ دُونَ عَمَلِ الْجَوَارِحِ؛.

..وقال : فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ هُوَ وَهَؤُلَاءِ ـ يعني النبي ﷺ وصحابته ـ بِكَلَامِ يُرِيدُونَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ إلَّا وَقَدْ نُصِبَ دَلِيلًا يَمْنَعُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ؛

٣.معنى قول السلف «أمروها كما جاءت».

مفهوم قول السلف: «أمروها كما جاءت»، أي: نصوص دالة على صفات، وليس مجرد ألفاظ لا معاني لها، كما هو مذهب التفويض، بل لابدّ من إثبات ما دلّ عليه النص، والصفة أو الاسم.

وهكذا جميع نصوص الاسماء والصفات، لابدّ من فهم المعنى، وعدم تفويضه، إنما الذي يفوض هو العلم بالكيفية، وعلى هذا درج السلف، وهذا هو مرادهم.

ولهذا لايكفي في حديث ابن مسعود المتقدم مجرد إمراره، دون فهم معناه، بل لابدّ من الفهم، والذي يقرأ الروايات الواردة في الحديث ويقول: لاندري مادلت عليه من الأصابع، فهذا نوع من التفويض، بل أكثر الروايات دالة على خمسة أصابع.

وقولنا خمسة ، ليس معناه للحصر، فهو مثل حديث الأصبعين.

ومن تلك الآثار الواردة في إمرار النصوص مع نفي العلم بالكيفية:

جاءَ عن الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ ، وَالثَّوْرِيَّ ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ: عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ». «الشريعة للأجري»

وقال أبو زُرْعَةَ: هَذِهِ الأَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ، أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفَ.

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ الْمُرُّوذِيِّ: أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ.

وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الخَلالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ، بِإِسْنَادِهِ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: سُئِلَ مَكْحُولٌ، وَالزُّهْرِيُّ عَنْ تَفْسِيرِ الأَحَادِيثِ، فَقَالا: أَمِرَّهَا عَلَى مَا جَاءَتْ

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكًا، وَسُفْيَانَ، وَلَيْثًا عَنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَةُ، فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا بِلا كَيْفَ.

وَبِإِسْنَادِهِ قِيلَ لابْنِ عُيَيْنَةَ: هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تُرْوَى فِي الصِّفَاتِ، فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى مَا سَمِعْنَاهَا مِمَّنْ نَثِقُ بِهِ وَنَرْضَاهُ نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفَ.

هذه الآثار مخرجة في في السنة للخلال، والشريعة للآجري، والاعتقاد للالكائي، وغيره من المصادر.

قال الأصبهاني ﵀ في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٥٩):

فَجَمِيع مَا ورد من الْأَحَادِيث فِي الصِّفَات: مثل أَن اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم عَلَى صورته، وَيَد اللهَّ عَلَى رَأس المؤذنين، وَقُلُوب الْعباد بَين أصبعين من أَصَابِع الرَّحْمَن، وَأَن اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يضع السَّمَوَات عَلَى إِصبع، وَالْأَرضين عَلَى إِصبع، وَسَائِر أَحَادِيث الصِّفَات، فَمَا صَحَّ من أَحَادِيث الصِّفَات عَن رَسُول الله – صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اجْتمع الْأَئِمَّة عَلَى أَن تَفْسِيرهَا قرَاءَتهَا، قَالُوا: " أمروها كَمَا جَاءَت ".

هذه الآثار وغيرها تدل على السلف ما كانوا يقتصروا في نصوص الأسماء والصافت على مجرد التلاوة والقراءة، دون فهم معناها وما دلت عليه، وإثبات ما دلت عليه من الصفات.

والبرامكة الفراكسة أنكروا على الشيخ يحيى قوله ، نبقى على ظاهر الحديث، أي إثبات مادل عليه من الأصابع، وجعلوا هذا من ضلالته، إما لأنهم لايعلمون ما معنى الأخذ بالظاهر، ظنوا أنّ السلف يكتفوا بإمرار النص مع عدم التصريح بما دلّ عليه من الصفات، بل قد صرحوا ـ السلف ـ في كثير من النصوص بما دلت عليه ، ولم يعلم نص من نصوص الأسماء والصفات فوضوا معناه.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٩):

فَقَوْلُهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - " أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ " رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ وَقَوْلُهُمْ: " بِلَا كَيْفٍ " رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ. وَالزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ: هُمَا أَعْلَمُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ......

وقال بعدها (٥/ ٤١):

فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الْبَاقِينَ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ. وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ الْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ - عَلَى مَا يَلِيقُ بِاَللَّهِ - لَمَا قَالُوا: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَمَا قَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ فَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إذَا لَمْ يُفْهَمْ عَنْ اللَّفْظِ مَعْنًى؛ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إذَا أُثْبِتَتْ الصِّفَاتُ. وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ - أَوْ الصِّفَاتِ مُطْلَقًا - لَا يَحْتَاجُ إلَى أَنْ يَقُولَ بِلَا كَيْفٍ فَمَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ بِلَا كَيْفٍ.

فَلَوْ كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَمَا قَالُوا بِلَا كَيْفٍ.

وَأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ يَقْتَضِي إبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظٌ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانٍ؛. فَلَوْ كَانَتْ دَلَالَتُهَا مُنْتَفِيَةً لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في « مجموع الفتاوى» (١/ ١٧):

" ومن الإيمان بالله أيضا الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف **مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة** التي هي أوصاف لله عزَّ وجل يجب وصفه بها على الوجه اللائق به

من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقال تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

قال الشيخ العثيمين في السفارينية (٢٩٥):

(**أمروها كما جاءت بلا كيف**): وهذه العبارة لا تدل على أن السلف يفوضون المعنى، بل الذي تدل عليه أن السلف يثبتون معنى آيات الصفات وأحاديثها، وتدل العبارة على هذا من وجهين:

الأول: قولهم: (أمروها كما جاءت) ومن المعلوم أنها جاءت ألفاظاً لمعانٍ، ولم تأت ألفاظاً لغير معنى كالحروف الهجائية أبداً، فإذا أمررناها كما جاءت فمعنى ذلك أننا نثبت اللفظ والمعنى.

والثاني: قولهم: (بلا كيف) يعني بلا تكييف، وهذه أيضاً تدل على ثبوت المعنى، لأنه لولا ثبوت أصل المعنى ما احتجنا إلى قول بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بموجود لغوٌ من القول، وهذا واضح.

وقال رحمه الله في «شرح السفارينية» (١٠٧ـ١٠٨):

فنحن نمرها كما جاء لفظا ومعنى، لأنها ألفاظ جاءت لمعان، فمن نفي اللفظ فإنه لم يمره، ومن نفى المعنى فإنه لم يمره، بل الواجب أن نمرها كما جاءت، ولا نتعرض بقولنا: كيف؟ ولم؟.

وقال رحمه الله:

فالحاصل أن موقف أهل السنة والجماعة من الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله عز وجل أن يمروها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهي ألفاظ جاءت لمعنى وهم يمرون اللفظ والمعنى، وقلنا هذا احترازا من مذهب المفوضة الذين يقولون: نمر لفظها، دون أن يتعرضوا لمعناها.

فالواجب إذاً في الحديثين المذكورين ـ حديث ابن مسعود و حديث ابن عباس ـ إثبات مادلاّ عليه من الأصابع، ولا يكتفى فيه بمجرمد القراءة.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله «مجموع الفتاوى والرسائل» (١٠/ ١١٨):

إذاً موقفنا من هذا الحديث الذي فيه إثبات الأصابع لله عزّ وجل أن نقر به ونقبله، ولا نقتصر على مجرد إمراره، بدون معنى فنكون بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، بل نقرؤه ونقول: المراد به إصبع حقيقي يجعل الله عليه هذه الأشياء الكبيرة، ولكن لا يجوز أبداً أن نتخيل بأفهامنا أو أن نقول بألسنتنا: إنه مثل أصابعنا، بل نقول: الله أعلم بكيفية هذه الأصابع؛

٤.بطلان التفويض.

والبرامكة والفراكسة من جهلهم بالعقيدة السلفية، سلكوا في حديث ابن مسعود مسلك أهل التفويض ، وإن كانوا يقرون بالأصابع، لكن نفوا دلالة حديث على عدد الأصابع من غير حصر.

فالرواية التي دلت على خمس أصابع، يقال: هذه الرواية دلت على خمس أصابع، ولا يتحرج من ذلك، وهكذا الرواية التي دلت على أربع، يقال: هذه دلت على أربع، فلا تنفى دلالات نصوص الأسماء والصفات لشناعة شنعت، ولا يسار إلى التفويض خوفا من تشنيع المبطلين.

وإذا ثبت عن السلف أنهم أثبتوا دلالات النصوص، ونفوا العلم بالكيفية، فحديث ابن مسعود من تلك النصوص التي أثبتوا معناها ونفوا العلم بالكيفية.

والذين نفوا العلم المعنى هم المفوضة، ولهذا ذمهم العلماء وبينوا أنهم على خلاف عقيدة السلف.

قال شيخ الإسلام في «درء التعارض» (١/ ٢٠١) :

وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالي أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا علي عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟.

إلى أن قال (٢٠٤) :

« فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد » اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله «الصواعق» (٢/ ٤٢٧):

وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها فإنّ من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة وفهم معناهما فهكذا سائر صفاته المقدسة يجب أن تجري هذا المجرى وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها فإن الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلا.

قال الشيخ العثيمين في «تقريب التدمورية» (٧٣):

بهذا التقرير الذي تبين به أنه لا يمكن أن يكون في القرآن شيء لا يعلم معناه إلا الله - يتبين بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني آيات الصفات، ويدعون أن هذا هو مذهب السلف، وقد ضلوا فيما ذهبوا إليه، وكذبوا فيما نسبوه إلى السلف، فإنّ السلف إنما يفوضون علم الكيفية دون علم المعنى، وقد تواتر القول عنهم بإثبات معاني هذه النصوص إجمالاً أحياناً، وتفصيلاً أحياناً، فمن الإجمال قوله: "أمروها كما جاءت بلا كيف" ومن التفصيل ما سبق عن مالك في الاستواء.

وقال الهراس في «شرح الواسطية» (٦٨):

فَإِنَّ السَّلَفَ لَمْ يَكُونُوا يفوِّضون فِي عِلْمِ الْمَعْنَى، ولا كانوا يقرؤون كَلَامًا لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ؛ بَلْ كَانُوا يَفْهَمُونَ مَعَانِيَ النُّصُوصِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُثْبِتُونَهَا للهِّ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يفوِّضون فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ كُنْهِ الصِّفَاتِ أَوْ كيفيَّاتها ؛ كَمَا قَالَ مَالِكٌ حِينَ سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِوَائِهِ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ:

((الِاسْتِوَاءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ)) (٣) .

وقال رحمه الله (٦٧):

وَيُوجَدُ التَّعْطِيلُ بِدُونِ التَّحْرِيفِ فِيمَنْ نَفَى الصِّفَاتِ الْوَارِدَةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَزَعَمَ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعَيِّنْ لَهَا مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ مَا يُسَمُّونَهُ بِالتَّفْوِيضِ.

وقال الشيخ العثيمين في «القواعد المثلى»:

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} ، وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وقوله جل ذكره: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} . والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

دلالة الحديث

على خمس الأصابع

والحديث نفسه فيه دلالة على عدد الأصابع، وأكثر الروايات على أنها خمس، من بيان الحبر، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له، فجاء في بعض الروايات أنّ الحبر كلما قال : «على أصبع»؛ أشار بأصابعه ـ أي أصابع اليد ـ فإذا قال بعدها: «على أصبع» أشار بالإصبع الثانية، حتى يأتي عليهن كلهن، ومعلوم أنّ أصابع اليد خمسة.

قال الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٦٧) :

- حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْأَشْقَرُ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ، قَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَى ذِهْ - وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ - وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى ذِهْ؟ كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ "، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ}.

هذا في حديث ابن عباس رضي الله عنه، وجاء مثله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ومن ذلك ما جاء في «الإبانة» (٢١٣)، لابن بطة رحمه الله ، وذكر أسانيد ثمّ قال:

-وَفِي حَدِيثِ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَخَذَ اللهُ السَّمَاوَاتِ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي الْخِنْصَرَ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الَّتِي تَلِيهَا، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْوُسْطَى، وَالشَّجَرَ وَالنَّبَاتَ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْإِبْهَامَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِقَوْلِهِ، وَقَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] الْآيَةَ.

وقال ابن منده رحمه الله «الرد على الجهمية»:

أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْعَسْقَلَانِيُّ، ثنا آدَمُ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ، وَعَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَهُودِيٍّ: " اذْكُرْ مِنْ عَظَمَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَزَّ، فَقَالَ: «السَّمَوَاتُ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْخِنْصَرَ، وَالْأَرْضُ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْبِنْصَرَ، وَالْجِبَالُ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْوُسْطَى، وَالْمَاءُ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ، وَسَائِرُ الْخَلْقِ عَلَى هَذِهِ يَعْنِي الْإِبْهَامَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١].

فتبين بذلك أنّ في بعض طرق الحديث دلالة صريحة على خمس اصابع، مع إشارة الحبر بأصابع يده الخمس، فلا إنكار على من قال أنّ هذه الطرق تدل على خمس أصابع.

فهم السلف للحديث

ومن ذهب مذهبهم من العلماء

❋ يحيى بن سعيد والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى :

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ :

٤٨٩ - سَمِعْتُ أَبِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، بِحَدِيثِ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ».

قَالَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: جَعَلَ يَحْيَى يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ وَأَرَانِي أَبِي كَيْفَ جَعَلَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ يَضَعُ أُصْبُعًا أُصْبُعًا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا.

❋ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ :

قال الفراء في «إبطال التأويلات» (١/ ٣٢٢):

٣٠٦ - فِي رواية أَبِي طالب: سئل أَبُو عبد اللَّه عَن حديث الحبر: " يضع السموات عَلَى إصبع، والأرضين عَلَى إصبع، والجبال عَلَى إصبع " يقول: إِلا شار بيده هكذا، أي يشير، فَقَالَ أَبُو عبد اللَّه: رأيت يَحْيَى يحدث بهذا الحديث ويضع إصبعا إصبعا، ووضع أَبُو عبد اللَّه الإبهام عَلَى إصبعه الرابعة من أسفل إِلَى فوق عَلَى رأس كل إصبع " فقد نص عَلَى ذلك.

❋ أبو جعفر محمد بن الصلت رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الترمذي رَحِمَهُ اللهُ :

٣٢٤٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا يَهُودِيُّ حَدِّثْنَا» فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا القَاسِمِ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى ذِهْ، وَالأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى ذِهْ - وَأَشَارَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ بِخِنْصَرِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَابَعَ حَتَّى بَلَغَ الإِبْهَامَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] : .

قال الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَأَبُو كُدَيْنَةَ اسْمُهُ: يَحْيَى بْنُ الْمُهَلَّبِ " رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ شُجَاعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّلْتِ

❋ الإمام الدارمي رحمه الله :

قال : الدارمي رحمه الله «الردعلى المَرِيسِيّ» (٣٧١):

وَحَدِيث رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانٌ وَمَعْنًى مُخَالِفٌ قِيلَكَ لَا شَكَّ فِيهِ وَكَيْفَ أَقرَرت بِالْحَدِيث فِي الأصبيعن مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ وَفَسَّرْتَهَا قُدْرَتَيْنِ؟ وَكَذَّبْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي خَمْسِ أَصَابِعَ، وَهُوَ أَجْوَدُ إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْأُصْبُعَيْنِ؟ أَفَلَا أَقْرَرْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ تَأَوَّلْتَهُ: الْقُدْرَةُ خَمْسُ قُدْرَاتٍ كَمَا تَأَوَّلْتَ فِي الْأُصْبُعَيْنِ٦ بِقُدْرَتَيْنِ؟. فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بين أصبعين من الْأَصَابِع" ٧. فَأَمَّا تَكْذِيبُكَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؟، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}.

❋ فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ :

قال النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السنن الكبرى» (٧٦٤٠):

- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْأَزْهَرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، وَفُضَيْلٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَضَعَ اللهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ.

قَالَ فُضَيْلٌ: وَهَذِهِ وَهَذِهِ وَهَذِهِ وَهَذِهِ وَالثَّرَى وَالْمَاءُ وَسَائِرُ الْخَلْقِ عَلَى هَذِهِ، ثُمَّ هَزَّهُنَّ فَقَالَ: أَيْنَ الْمُلُوكُ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ} [الزمر: ٦٧].

❋ قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ :

قال رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد»:

وَزَعَمَ مَنْ كَانَ يُضَاهِي بَعْضُ مَذْهَبِهِ مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّةِ فِي بَعْضِ عُمْرِهِ لَمَّا لَمْ يَقْبَلْهُ أَهْلُ الْآثَارِ، فَتَرَكَ أَصْلَ مَذْهَبِهِ عَصَبِيَّةً: زَعَمَ أَنَّ خَبَرَ ابْنَ مَسْعُودٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، إِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيُّ أَنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا ضَحِكَ تَعَجُّبًا لَا تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ.

وَقَدْ كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ إِنْكَارِهِ، وَدَفْعِهِ هَذَا الْخَبَرَ، وَكَانَ يُثْبِتُ الْأَخْبَارَ فِي ذِكْرِ الْأُصْبُعَيْنِ قَدِ احْتَجَّ فِي غَيْرِ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، فَإِذَا كَانَ هَذَا عِنْدَهُ ثَابِتًا يُحْتَجُّ بِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ وَشَهِدَ أَنَّ للهِ أَصَابِعَ، لِأَنَّ مَفْهُومًا فِي اللُّغَةِ: إِذَا قِيلَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ

الْأَصَابِعِ: أَنَّ الْأَصَابِعَ أَكْثَرُ مِنْ إِصْبَعَيْنِ، فَكَيْفَ يَنْفِي الْأَصَابِعَ مَرَّةً، وَيُثْبِتُهَا أُخْرَى؟ فَهَذَا تَخْلِيطٌ فِي الْمَذْهَبِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وهكذا سلك سبيلهم الأئمة من بعدهم على إثبات ما دلّ عليه حديث ابن مسعود وابن عباس، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا يفوضون المعنى الذي دلّ عليه الحديث.

❋ ومن قال بذلك من المعاصرين الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ﷺ:

قال الشيخ ابن باز : في «شرح كتاب التوحيد» (٩١):

قوله (عَلَىَ إِصْبَعٍ) فيه إثبات الأصابع لله عز وجل، وأنها خمسة أصابع .

ونقل عن عبد الله بن مانع في كتابه:

قال: سألت شيخنا ـ يعني الشيخ ابن باز ﷺ ـ عن حديث إثبات الأصابع لله ، هل هو للحصر ، وأن الأصابع خمس ؟

الجواب:

نعم لأنّ الأصابع استوعبت الخلائق-وسائر الخلق على اصبع.

" مسائل الإمام ابن باز " ص ٣٧ سؤال ٣٦

❋ وممن قال بذلك من المعاصرين الشيخ الفوزان:

قال الشيخ الفوزان: في «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٣٢١):

قال الحبر: "إنا نجد" يجدون ذلك في التّوراة.

"أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إِصبع" الأرضين: جمع أرض.

"والشجر على إصبع"؛ شجر الدنيا، شجر البر والبحر، فالشجر اسم جنس يشمل كلّ الشجر الذي في الدنيا.

"والثرى على إصبع " الثرى يعني: التراب: قال سبحانه وتعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} أي: تحت التُّراب.

"وسائر الخلْق على إصبع" يعني: باقي المخلوقات.

فهذه خمسة أصابع عليها جميع المخلوقات العلوية والسفلية، كلّ إصبع عليه خلْقٌ من خلقه سبحانه وتعالى.

وممن قال نص على أنها خمس أصابع لله، الراجحي:

قال : في شرح «كتاب التوحيد» من «صحيح البخاري» (٤٦):

إثبات الأصابع لله وأنها خمسة.

وقال :

وقوله: (جعل الله السماوات على إصبع...) في الرواية الأخرى أن الله يضع السماوات على ذه، وأشار إلى أصبعه، ويضع الأرضين على ذه، ويضع الماء والثرى على ذه، ويضع سائر الخلق على ذه، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك فهذه أربع أصابع، وجاء في الرواية الأخرى: والشجر والجبال على إصبع فتكون خمسة أصابع، فهذا يدل على إثبات الأصابع لله -عز وجل- وأنها خمسة، كما يليق بجلال الله وعظمته.

وقال في «شرح الحموية»:

قال المؤلف رحمه الله تعالى ـ يعني شيخ الإسلام ـ : [فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجباً منهم وتصديقاً].

قال الراجحي: كما في قصة الحبر الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا محمد! إننا نجد في التوراة أن الله يضع السموات على ذه – وأشار إلى أصبع – والأرضين على ذه والماء والثرى على ذه، والجبال على ذه، والشجر على ذه، خمسة أصابع.

تنبيه

قال الشيخ العثيمين في شرح السفارينية:

ولهذا سألني سائل ذات مرة فقال: ما تقول في أصابع الله؟ كم هي؟ أعوذ بالله. فقلت: هل أحد يسأل هذا السؤال؟! يا أخي اتق ربك، أنت لست ملزما بهذا، أثبت أن لله أصابع كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام، وأما كم فلا يمكن لك أن تتكلم بهذا.فوالله ما أنت بأحرص على العلم بالله من الصحابة رضي الله عنهم، والصحابة رضي الله عنهم لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع) . إلى آخر الحديث، ما قالوا: يا رسول الله هل لله أكثر من هذه الأصابع؛ لأنهم أكمل أدبا، وأشد تعظيما لله ممن أتى بعدهم، وإذا كنت صادقا في عبادة الله فلا تتجاوز ما أخبر الله به عن نفسه،....

فالشيخ العثيمين ﵀ ـ لم ينكر على من أثبت مادلّ عليه الحديث، بدليل قوله: «ما قالوا: يا رسول الله هل لله أكثر من هذه الأصابع»، دليل أنهم أثبتوا ما دلّ عليه الحديث، لكن لم يسألوا هل له أكثر من هذا!، فلا منافاة ولا تناقض ، إلا عند من أشرب قلبه بالهوى.

مناقشة:

قال شيخنا الناصح الأمين : (نبقى على ظاهر الحديث نورده كماهو)

قال صاحب الرد الخلفي على الشيخ يحيى، ص(١٢):

٥ـ قولك ـ يقصد الشيخ يحيى ـ كما في النبذة اليسيرة، حيث نسب إليك أنّك تقول: إنّ لله خمس أصابع فقط، فقلتَ : (نبقى على ظاهر الحديث نورده كماهو)، وأنكرت لفظة: فقط، ومرادك بالحديث حديث ابن مسعود: ثمّ ذكره.

ثمّ قال: أقول: هذا القول خطأ، لم يقل به أحد من السلف.اهـ

عجيب!!!، وهل الأخذ بظاهر الحديث لم يقل به أحد من السلف، وهل إثبات ما دلّ عليه الحديث خطأ، وماهو الصواب إذاً؟!، أهو قراءة الحديث مثل الأميين، دون التعرض لمعناه؟!!.

ثمّ أنت لم تبين وجه الخطأ في قول الشيخ، ولم تبين الظاهر من هذا الحديث، أشبه انتقادك انتقاد المفوضة لأهل السنة، ثمّ عقبت عليه بكلام لبعض العلماء لا منافاة بينها وبين قول الشيخ الذي انتقدته، فلا أنت انتقدت انتقادا صحيحا، ولا بينت القول الصواب.

* ثمّ قال ـ صاحب الرد الخلفي ـ :

قال الدارمي رحمه الله الرد المريسي:باب إثبات الأصابع، وذكر في الباب أحاديث منها حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا: (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) الحديث).

أقول: لو قلبت الصفحات لوجدت الإمام الدارمي يقول به، لكنّه الهوى الذي غلب على حزب البرمكي الفركوسي، حتى أصبح لا يرى الحق وهو بين عينيه.

قال الدارمي رحمه الله تعالى في الردّ على المريسي ـ بعدها بصفحات ـ :

وَكَيْفَ أقررت بِالْحَدِيثِ فِي الأصبيعن مِنْ أَصَابعِ اللهَّ وَفَسَّرْتَهُمَا قُدْرَتَيْنِ؟ وَكَذَّبْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي خَمْسِ أَصَابعَ، وَهُوَ أَجْوَدُ إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْأُصْبُعَيْنِ؟ أَفَلَا أَقْرَرْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ تَأَوَّلْتَهُ: الْقُدْرَةُ خَمْسُ قُدْرَاتٍ كَمَا تَأَوَّلْتَ فِي الْأُصْبُعَيْنِ بِقُدْرَتَيْنِ؟. فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَين أصبعين من الْأَصَابع". فَأَمَّا تَكْذِيبُكَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَّ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؟، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ {وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}.

وهذا من عجائب أهل الهوى، أن يكون الحق بين يديه، ويعميه الله سبحانه، فكما طمس الله بصارهم عن الحق، فقد طمس أبصارهم عن رؤية الحق، { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا } .

ثمّ قال :

وقال ابن القاسم في حاشية كتاب التوحيد صفحة (٣٩٧) في شرح حد يث ابن مسعود : (وفيه إثبات الأصابع للرحمن جلّ وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته) .

قلت : لا منافاة بين هذه الأقوال إلا على مذهب البرامكة الذين أظهروا جهلهم بالعقيدة السلفية.

* قال صاحب الرد الخلفي ـ :

هذه أقول العلماء في المسألة، فلم يقولوا خمسة أصابع، فلا بد من النظر إلى جميع الأدلة في ذلك وفهمها فهما سلفيا ولا ينفعك إنكارك كلمة (فقط)، مع قولك: (لله خمسة أصابع).اهـ

وهل صاحب الرد الخلفي استوعب جميع أقوال العلماء في المسألة، حتى ينفي هذا النفي المطلق، (**فلم يقولوا خمس أصابع**)، أم هو قول بلا علم ، صاحبه هوى مفرط؟!!!.

وإن كان صاحب الرد الخلفي تحاشا ذكر أقوال العلماء التي تخالف مذهبه، فيكون هذا من الخيانة العلمية، فيكون قد شابه اليهود الذين أخفوا آية الرجم في كتمان العلم.

وهل صاحب الرد الخلفى نظر إلى جميع الأدلة، وفهمها فهما سلفيا؟، وهل يعرف البرامكة ما معنى الأخذ بظاهر الحديث؟.

فأقول لصاحب الرد الخلفي، ومن سار مساره من الفراكسة والبرامكة: (فلا بد من النظر إلى جميع الأدلة في ذلك وفهمها فهما سلفيا)، ما أحوجكم إلى مثل هذه النصائح.

هل قال الشيخ يحيى لفظة : «فقط»

* جاء في الورقات التي نشرت في تاريخ (٢٦/ ٠٢/ ١٤٢٣)، بعنوان(أقوال الشبخ يحيى بن على الحجوري فيما انتقد عليه من المسائل) وفيها:

المسألة الخامسة :

قولهم إنه يقول: (إن لله خمسة أصابع فقط))!.

وإنما قال :نبقى على ظاهر الحديث، ونورده كما هو ،فأين هذا القول الذي مبناه على التسليم للنص، وترك الاستفصال في غير مجاله، والله المستعان، بل هو منكر على من قال بذلك القول بزيادة (فقط)، وأنّه قول باطل.اهـ

فإنكار الشيخ يحيى على من ينسب إليه كلمة « فقط» ، ليس بجديد، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، لكن نواب إبليس لا يستحون من الكذب.

قال الشيخ يحيى بن علي الحجوري في آخر الورقات:

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم اطلعت على ما كتبه عدد من أجلاء طلبة العلم في دار الحديث بدماج رحم الله بانيه لنفع المسلمين، وأن هذه أقوالي فمن رأى فيها ما يخالف الكتاب والسنة ومعتقد السلف الصالح رضوان الله عليهم فليفدنا بالنصح مؤيدًا بالدليل وجزاكم الله خيرًا

يحيى بن علي الحجوري

٢٦/ صفر/ ١٤٢٣هـ

كتبه: أبو العباس محمد القصراوي

العلنده.وادي سوف.الجزائر

في ٠٦/رجب/١٤٣٧.